كان الرجل يبكى فى صمت وهو يضرب الماء بالمجدافين نحو مرسى (هازراتبال) ، ومنها الى (تلبال) ..

هل كانت رحلته الى هنا ضلالا ؟! لا ، بل ان مجيئه الى (سريناجار) كان منة وعزاء ، كان فرحا داخليا غامرا ، انفعالا رائعا لم يكن يتخيل جماله ، ألم ير الطفلين يبكيان من الرعب ثم يضيئان شيئا فشيئا كما قال والداهما العجوزان ؟! وكما أحس عندما احتضنه الطفلان فى حب قبل أن ينصرف من بيتهما !!

كانت أسرة ريفية تسكن بيتا أفضل بكثير من خرائب دلهى وبومباى، بيتا مبنيا بالطوب الحجرى وبه غرفة خاصة للماشية والعلف ..

أعد له العجوزان الشاى الكشميرى اللذيذ من لوزات الشاى المسحوقة، همس الرجل الى نفسه :

(كيف أستطيع أن أصف هذه الفترة من حياتى ؟ هذه الأيام التى قضيتها فى كشمير والتى تقول : ان الحياة بأفراحها العابرة ، بكل ما فيها من براءة وطهر ومجد وجلال ، ليست باقية الا فى عنصر الحيـاة ، فى الانســان) .

وهمست نفسه اليه :

(ولقد آمنت بذلك وفعلته طيلة حياتك ، فاستمر) .

ووجد نفسه يستخف بكل الأشياء الأخرى الزائلة ويقول لها « الى الجحيم » .

★ ★ ★

ماذا حدث بداخله فى تلك الأيام !! تقدم به العمر ؟ لكنه استطاع هنا ببساطة أن يتقبل هذه الحقيقة ، وأن يتقبل كل ما هو مر المذاق ، وألا يصارع من أجل اصطياد ألوان أخرى ، ان الألوان التى تعود أن يرسم بها تكفي ، ولسوف يجدد الرضا كل ألوان الحياة ..